

# الأطفال ضعاف العقول

الناحية المهجورة من نواحي الإصلاح والتهديب — حاجتنا الى المباحث العلمية العملية  
معاهد ضعاف العقول وما ينبغي ان تكون عليه

## نصح نقد محمد المرصفي

مفتش التعليم بمصلحة السجون المصرية وعضو رابطة الإصلاح الاجتماعي

عني الاستاذ الدكتور . ا. د . كلايد الحيري الذي ندبته وزارة المعارف السورية في الماضي القريب ، يبحث وتقدر حالة التعليم في جميع مراحلها في المملكة المصرية كما عينت الوزارة بشرق تقرير المشغل على نتيجة ابحاثه واختياراته القيمة مقررأ فيه ما نطرح عليه الشاب المصري من الذكاء مع موازنته بذكاء امثاله في الامم الغربية وأنه يوازي ذكاه نظيره في مختلف البلدان الاوربية بصفة عامة . الا أنه من ناحية اخرى اشار الى التباين العظيم في الفرقة الواحدة بين جميع التلاميذ مع ما هم عليه من السن ومستوى الذكاء . كما أكد أنه يستحيل تجانس فرقة واحدة تجانساً مطلقاً . الا ان التباين بين تلاميذ المدارس المصرية يخطى الحدود المألوفة . . . وقد عزا ذلك الى عوامل اهمها نقص طرق اختبار التلاميذ حين توزيعهم على فرق الدراسة . وثانيها عدم وجود فرق خاصة للاطفال المتأخرين والشواذ الذين يتابعون دروسهم مع الاطفال العاديين جنباً الى جنب على أنه تقرر ان المصلحة تقتضي بأن تنشأ في الاوساط التابعة للمدن او المدارس العامة بالتلاميذ فرق للضعفاء الذين تقل منهم العقلية عن مستوى السن العادية المناسبة للفرقة وأشار الى أن من امثال هؤلاء عدداً غير قليل في شدة الحاجة الى العناية الخاصة . ومن ذلك ان تقدمهم وشابهم لاخوانهم خير من النضام عليهم إلى أن قال — « واذا ضعف الشذوذ بساد في الاخلاق كثرته إلى السرقة والاجرام فمن المضمون حصر العالين بهذه الآفات في بيوت خاصة باصلاح الاخلاق » معاهد الاصلاح »

وهذا ما رغبتنا في بحثه وتوجيه الانظار الى الناحية المهجورة من نواحي الإصلاح والتهديب في عصر يطول خبرتنا وممارستنا العمل مدة لا تقل عن ثمانى عشرة سنة في خدمة الاحداث المثل وصغار المجرمين في مدارس إصلاح الاحداث التي تجمع أطفالاً شواذ من جميع نواحي الدولة مع اختلاف في القوي العقلية والمخاطط في المستوى الخلفي وتباين في الجريمة وضعف في الصحة

على ان انقى ما يضل القائمون منا في بحث حالة الاحداث الحمل وصغار المجرمين ان يقرأوا شيئاً عن نتائج ما قام به الباحثون ووصعوا من اجده المؤلفات القيمة في مختلف البلدان الأجنبية ولاسيما في اميركا ه الولايات المتحدة الاميركية « وانجئنا التي تعنى جد العناية بالاصلاح فعملت في طليعة بلرائق اصلاحها انشاء المباحث العلمية العملية وأعدت لها المدة وواصلت اجرائها على اساس انقراض الذي من اجله اجهت الفكرة

\*\*\*

وليس من السطوع ان تقرر شيئاً رغب في اصلاحه قبل بحثه بحثاً مؤسسياً على الاصول الفنية من وجوده المختلفة من حيث فخص العوامل والبراهن النسبية والمضلة والصحية التي دعت بالحدث الى الاندفاع في الجريمة حتى يمكن والحالة هذه تقرر العلاج لتفقد قيل « ان الحكم عن الشيء فرح عن تصويره « فلا بد من أن يوجد بمصر طبقة من الباحثين المتسربين الاخصائين في مختلف الابحاث النسبية تكزن منهم إجراء الابحاث والتجارب وجمع المشاهدات وعمل الاحداثيات وخص الأطفال فصلاً دقيقاً يمكن به تقرر العلاج عندئذ يمكن أن تنظم الاصلاح ومقاومة الجريمة سواء آكأت بوسائل الوقاية أم بمعاهد الاصلاح التي يجب أن تكون على أسس مستتبته من نتائج هذه الابحاث

أما ما فعله الآن فهذا في نظري بل في نظر الذين يتصدون لإصلاح الأمن العام والحالة الخلفية ليس إلا تقليداً ومحاكاة

إذا ما تقرر ذلك وجب على الهيئات العامة والجهات المفكرة أن تنشط إلى العمل بهم دائبة على إنشاء أسائل هذه المباحث حتى يمكننا أن نقول اننا نأخذ بأسباب طرائق العلاج من الوجهة الفنية العملية الصحيحة

وهنا يجب أن نشير الى أقرب الحوادث عهداً عن حياتيات صبية قد يمر القارىء بها مرة الكرام « ألا لها بادرة تطور سيء في قضية النساء « أو « صورة من الوحشية « أو « ظاهرة إجرامية « عندما أشارت اليها الصحف اليومية في تليفها على هذه الحوادث الواقعة : « أن قد ائسر غلامان على تملك وصبا عليه البرول ثم احرقاه وجلا بتلذذان بصرخاته المتوالية في النار المتأججة — كما حدث أن غلاماً دس « حمض الفينيك « في الصهرج الذي يشرب منه تلاميذ مدرسته . . . وفي مدينة المنصورة تسكن أسرة كريمة في دار يصعد اليها يسلم من الخشب وقد حدثت ثلاث حرائق في هذه البارة الجميلة في أيام متتالية وقد اندكها السكان والخدم ورجال اللطاق وشوا أخطارها واسفر التحقيق عن ادانة خادمة في الزاينة متهمة من عمرها حامت حولها الظنون القوية فاعزقت بملها الشفاء كما اعزقت بسابق حياتها ولها فلت ذلك إعجاباً

بشاهدة رجال المظالم لا بين خوداتهم اللامعة ونشاطهم واقدامهم الذين ملكا عقلا فأغرياهما  
بأحداث هذه الحرائق لشاهدتهم أمامها

كما اعتقل البوليس مساء ٩ يوليو سنة ١٩٢٨ ثلاثة صبية لا يزيد عمر أكبرهم على عشر  
سنوات وقد ضبطوا وهم يصفون خرقه مبللة بالنار ومشملة تحت عمل كهربائي في شارع توفيق  
بالقاهرة ولما تضر عليهم البوليس وأجرى التحقيق معهم بواسطة النيابة اعترفوا بجريمتهم  
وإن المقام ليضيق بنا إذا ما حاولنا أن نأتي على كثير من حوادث امثال هؤلاء الاطفال  
وفدح جرائمهم . وعهدي أن هؤلاء ليسوا إلا في مصاف ضايف العقول الذين يجعل بنا أن نبادر  
الى علاجهم عقياً وإلا كان خطرهم أشد تأثيراً وأسوأ أمة : ولنا نتخذ من أغاليطنا دروساً  
للاصلاح القومي المنشود وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

فإذا كنا بالأوس في دور من الشك أدى بنا إلى البحث فإنه يجدر بنا أن ننتهي اليوم إلى معرفة  
الحقيقة وإذا نحن وقفنا إلى فحص الحالات العقلية والنفسية والجسدية لأشكال أحداثنا المثل وصغار  
المجرمين فإنه يتبين لنا صدق قرارنا عن كثيرين من الأحداث في حالات غير طبيعية . وأنا في  
قرارنا هذا الجادون فإن ما عليه أطفانتنا المشار اليهم من المؤثرات والاصناف لا نخرج عن دائرة  
ما نقره علماء النفس والباحثون . فمن ذلك ان يكون العقل بحالة عصبية ولو أنه لم يكن بالمعنى  
المقصود منها أو أن يكون كثير النسيان زجاجاً إلى العيان جنوحاً إلى عدم الطاعة فإذا ما كانت  
جائته شديدة عمد إلى الهدام والتمرد والرعبه فيكون بذلك شقياً مسرراً يركن الى انساقات  
كاذباً مارقاً ويزداد هذه الحالة الشريرة وضوحاً وجلاءً كلما تقدم الى سن البلوغ فيجرح الى  
انزاف الآتام

واقامون بهذه الابحاث ينتقدون بوجوب تقرير الاسباب الباطنة للطفل المجرم على الاجرام  
في هذا الاعتقاد واليقين ورضح المدلل في نصابه من ناحية الحدث وفي ذلك حفظ لكيان الهيئة  
فأطفانتنا ضايف العقول ليسوا إلا بالأطفال العاديين مع ما هم عليه من الظواهر والمؤثرات  
على أنهم في غير المستوى العقلي العادي بدرجات مختلف باختلاف تقدير ذكاء كل طفل منهم  
ولا يفوتني أن أشير الى تلك الظواهر التي لاحظناها ودلتنا عليها الخبرة بين هؤلاء الأحداث  
وكانت ولا تزال نتائج لازمة لتلك الامراض المزمنة التي أصابهم قبل انتظامهم في مدارس اصلاح  
الأحداث والتي عثمت ولا تزال تسمى بملاحها بكل الوسائل الفنية الممكنة فمن هذه الظواهر : —  
٢ — عدم الاتقياء الى الدرس رغم ما لسلك من أساليب في التعليم

١ — الميل الى الترم

ب — والاشتغال بغير الدرس

- ٢ - ضعف الذاكرة الى حد أن أمتان هؤلاء لا يمتثلن ما يلقى عليهم في نفس الدرس رغم التكرار  
 ٣ - البركون الى الكذب  
 ٤ - الحين الى حد الاستسلام حتى الى حدث صغير  
 ٥ - البلاء ابتاهي في الاجابة

وفي ينبغي أنه إذا ما كانت قيادة هؤلاء الاحداث الى النظام والعمل بقوة طافية مشبعة بروح الشفقة والحنان في معهد خاص لاستقطابهم مواطنين عاملين الى حدٍّ ما، ولاستطاع الواحد منهم أن يعمل في الهيئة تحت الاشراف المباشر على ما هو عليه من الانحطاط افكركي. والحق يقال ان « الدكتور ماري منتموري » لها فضل البق فيها ذهبت اليه من طرائق علاج أمتان هؤلاء الاحداث فلقد قضت عملياً نظرية « الطفل » التي على أساسها تقوم مدارس الاطفال والتي لم تكن إلا نظرية خيالية « كما قررت » على انها أقامت نظريتها على دعائم مرافقة كل طفل وبمخته منفرداً فكان لهذه النظرية المثل الاعلى في علاج الاطفال وتربيتهم لا سيما ضفاف العقول منهم

ولقد اتضح جلياً كما استقر عليه رأي الباحثين ان تعليم هؤلاء الاطفال « ضفاف العقول » ليس من انهم في شيء مستقبلهم الصحي والخلقي والنفسي خيراً من الاحتمام بتفقيهم وتعليمهم « فان أهمية التربية عقلية كانت او سبة مقدمة على أهمية غيرها والواجب أن يقبها التعليم لا أن تبعه » ( انظر التقرير العام للاساذ الدكتور كلابريد ص ٧ )



على أننا اذا ما قابلنا نتيجة امتحان ضفاف العقول في المطالمة مثلاً بنسجة أضف الاطفال من الناديين في الفرق الاخرى اتضح لنا جلياً انه حتى المتقدمين من الفرق الراقية من بين أحداثنا المشار اليهم لا يكونون متفوقين على من يكونون ضفاف في « المطالمة » في الفرق الاولى من المدارس العادية

وأن ما علينا من التواحيات نحو أمتان هؤلاء وما يدعونا اليه البحث وتقرير ما ينبغي أن يكون عليه النظام المدرسي الجيد يجب أن نقرر ما يلزم لكل من هؤلاء ضفاف العقول وما هو في حاجة ماسة اليه

ولا وسيلة لهذا أجمع من ان نادر الى علاجهم علاجاً عقلياً في معهد أقرب ما يكون شيئاً بمتشئ الامراض العقلية لا في معهد تأديبي

ما یفیعى انه بکونه علیه معاصر ضعاف العقول

وانه لیحتاج صدري وجوب العمل على انشاء امثال هذه المعاهد بصر لما ظاه من جليل الآثار وعظیم انتاج التي تجلت في مختلف البلدان الراقية التي عنيت بشأن أمثال هؤلاء الاحداث ضفاف العقول

### الفرض الرئيسى — المرظفونه

ان من أولیات اغراض انشاء مثل هذه المعاهد ان تكون أداة علاج عقلي باعث للحياة العملية الشريفة في قوس الاطفال طاملاً على تدويم ضبط النفس بكل الوسائل المستطاعة ومحققاً لهذه الغاية بتعين ان يكون في مقدمة الاصلاح بهذا العهد العمل على علاج الاطفال عقلياً بواسطة اخضائهم في الامراض العقلية بغاونه طيب خبير في علم النفس يعاضدها عن كسب مدير المعهد الذي يجب ان يكون حازراً للمؤهلات الفنية ذات تجارب واسعة وشخصية بارزة يقدر المسؤولية حتى قدرها كفيلاً بتنفيذ ما تشير اليه طرق العلاج وان يتصدى لتعليم تبه مدرسون حائزون للمؤهلات الفنية العملية وعلى جانب عظيم من الخبرة والحزم وعموم الاخلاق ليكونوا قدوة حسنة ومثلاً طالياً

### مناهج التعليم والاشغال اليدوية

- ١ — زى ان يكون الاحتمام بالاشغال العملية قطعاً وفيراً من التكوين من حيث : —  
المحادثة — اللعب — العمل — الخط — الرسم — الصوت «النساء»
- ٢ — كما للاعمال العقلية بمقدار ما تقع له مداركهم وفقاً لرأي الاخصائين عن يتولون علاجهم من حيث القراءة والكتابة والحساب
- ٣ — الاشغال اليدوية — يجب ان تكون متنوعة الاغراض الى حد ان تشجع رغبات الاطفال مع ما يتفق وحالتهم العقلية من حيث السهولة والتشويق . على اننا نشير اذا ما صادف هذا قبولاً بان يأخذ بالاعمال الآتية
- ١ — للذكور : فلاحه البساتين — الزراعة — صنع الاحذية — الحياطة — التجارة — النسيج — صنع السجاد (الطنافس) — صناعة الجلود — عمل التراجين — عمل السلال — الكرامى القش
- ٢ — الاعمال الآتية ألسب لبسات وألبق بين — الكي — التليل — فلاحه البساتين —

التيج - صنع السجاد ( الطنافس ) - اشغال الابر - صنع الدتلة - الرقي - الجلود -  
عمل السلال - عمل الفراجين

الزمن الرساسي ومنتوسط عمره الترميز بالقرنفذ

من المقرر ان زمن اتياء الطفل قصر محدود ولما كنا نطالع طائفة من الاطفال ضاف  
القول نرى ألا يزيد الزمن الدرامي في اليوم على خمس ساعات على ان تكون مدة السنة  
الدراسية لا تدوم عشرة اشهر حتى يكون هناك متسع من الوقت للرياضة البدنية والعلاج  
العقلي . والالام كما لعاب على اختلافها تكسبهم الفائدة العقلية التي تسهل المعاهد على تحمّلها  
هذا مع اننا نشير الى ان يكون بكل فرقة عدد من الاطفال يتراوح ما بين عشرة وخمسة عشر

التأديب بالمعبر

ان ماضي خبرتنا بأمان هؤلاء يشجعنا كثيراً على ان نقرر ان استعمال العقوبات البدنية مما  
يكون سيئاً قريباً في اضطراب اعصاب امثال هؤلاء الاحداث بل يزيدهم هياجاً وتعرداً ونرى  
ان خير الوسائل لذلك ان يكون النظام التأديبي مؤسساً على العلاج العقلي والنصي وتعميم الاخلاق  
وحرية بنا ان نعرض الى ما قرره الاستاذ الدكتور « هنري جودار » H. Goddard الذي  
ظل سنوات عديدة رئيساً للبحث العلمي السلمي للاحداث المجرمين في ولاية « اوهايو » Ohio  
بالولايات المتحدة الاميركية في مؤلفه « الجريمة ضد الاحداث » ص ٣ ما ترجمته « وما نحن  
اولاء كدنا نصل الى ذلك اليوم الذي يثبت فيه ان للامراض على اختلافها جسدية او عقلية  
أثرها البين في ارتكاب الجرائم ضد الجماهير الهادئة الآمنة ولو وقتنا الى فحص الحالات العقلية  
والجسدية لجميع الناس لتبين لنا ان الذين في حالات غير طبيعية هم ادنى الى اقرار الجرائم من  
سواهم وذلك حقيقة لا محتمل الشك والريبة »

ولقد برهنت الباحثة العلمية العملية على ان عقوبة هؤلاء الاحداث غير طبيعية في تكوينها وربما  
كان بهم من الجنون ولأن هذا يتجلى لكل من كان ذا خبرة واسعة وملاحظات دقيقة عن  
حالات امثال هؤلاء الاطفال ضاف القول الذين يقرنون ابلغ الجرائم بدون قصد او سابق تفكير  
ولعل اكون قد ألمت في مقالتي هذا الى ما ينبغي نحو احداثنا المهمل وصغار المجرمين ضاف  
القول وما يجب ان نلج من طرق الاصلاح والوقاية توصلاً لتغاية السامية والمرسى النبيل  
في خدمة الانسانية وصوناً للهبة الاجتماعية مما عساه ان يطلعنا من الآفام والحسرة الجسية  
ما يكون في الامكان تلانيها